مادة الأدب الأموي (قسم النثر): د. زاهر الشمّاع

المحاضرة الخامسة المقرَّرة بتاريخ: الأحد ٢٠٢٠/٤/١٢م

نتابع مع نماذج الخُطَب السياسية، وسننتقل من حزب الشيعة المعارِض إلى حزبٍ معارِضٍ آخر، هو حزب الخَوارِج:

من خُطَب الأحزاب المعارِضة:

- **خُطَب الخَوارج:** (مثالها: خُطْبَة قَطَرِيّ بن الفُجاءة).

مقدمة:

تعدَّدت فِرَقُ الخَوارج في عصر بني أمية، وكثرت – تبعاً لذلك – خطبهم، فكان لكل فرقة منهم خطباؤها الذين يجيدون القول، وسوّغ الدكتور شوقي ضيف ذلك فقال: «ولعلّ حزباً لم يكثر خطباؤه كما كثروا في الخوارج، إذ كانوا شديدي الحماسة لعقيدتهم، ولم يدعوا لها سرّاً كما دعا الشيعة في أكثر الأمر، بل دعوا لها جهاراً، شاهرين سيوفهم في وجوه بني أمية وولاتهم.» ومن خطباء الخوارج المشهورين: قَطَرِيّ بن الفُجاءة، والضَّحَّاك بن قيس، وعِمْران بن حِطَّان.

وسنقف بالدراسة والتحليل على نموذج واحد وهو خُطْبَة قَطَرِيّ بن الفُجاءة:

(قَطَرِيّ بن الفُجاءة) هو من الشعراء والخطباء المفوَّهين، ولذلك سنشهد خُطْبَةً رائعةً ذات تعبيرٍ موحٍ معبِّرٍ فصيحٍ بليغ.

صَعِدَ قَطَرِيّ بن الفُجاءة مِنْبَرَ الأزارِقة؛ فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال:

«أمَّا بَعْد: فإنِّي أُحَذِّرُكم الدنيا، فإنها حُلْوَةٌ خَضِرَة[١]، حُفَّتْ بالشهوات[٢]، وراقتْ بالقليل[٣]، وتحببت بالعاجلة[٤]، وحُلِّيَتْ بالآمال، وتَزَيَّنَتْ بالغرور، لا تدوم حَبْرَتُها[٥]، ولا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها، غَرَّارة ضَرَّارة، خَوَّانة غَدَّارة، وحائلة[٦] زائلة، ونافدة بائدة، أَكَّالة غَوَّالة[٧]، بَدَّالة نَقَّالة، لا تعدو إذا هي تناهَتْ إلى أُمْنِيَّةِ أهل الرغبة فيها، والرضا عنها، أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السماء فاختلط به نبات الأرض، فأصبح هشيمًا[٨] تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرًا﴾[٩]، مع أنَّ امرأً لم يكن منها في حَبْرَةٍ؛ إلا

---

[١] أي ناضرة.

[٢] أي أطافت بها الشهوات.

[٣] أعجبت أهلها بمتاع قليل ليس بدائم.

[٤] أي وتحببت إليهم باللذة العاجلة

[٥] الحبرة: السرور.

[٦] أي متحولة من حال إلى حال.

[٧] أي مهلكة من غاله يغوله.

[٨] الهشيم: ما تهشم وتحطم، وتذروه أي تطيره.

[٩] الكهف: ١٨: ٤٥.

أعقبتْهُ بعدها عَبْرَةٌ، ولم يَلْقَ من سَرَّائِها بطنًا، إلا منحتْه من ضَرَّائِها ظَهْرًا، ولم تَطُلَّهُ غَيْثَةُ رخاءٍ، إلا هطلتْ عليه مُزْنَةُ بَلاءٍ، وحَرِيٌّ إذا أصبحتْ له منتصرةً، أنْ تُمْسِيَ له خاذلةً مُتَنَكِّرةً، وإنْ جانِبٌ منها اعْذَوْذَبَ واحْلَوْلَى[١٠]، أَمَرَّ عليه منها جانِبٌ وأَوْبَى[١١]، وإن آتتْ امرأً من غضارتها ورفاهَتِها نِعَمًا، أرهقتْهُ من نوائبها نِقَماً[١٢]، ولم يُمْسِ امرؤٌ منها في جَنَاحِ أَمْنٍ إلا أصبح منها على قَوَادِمِ[١٣] خَوْف، غَرَّارةٌ غَرُوْرٌ ما فيها، فانيةٌ، فانٍ ما عليها، لا خيرَ في شيءٍ مِنْ زادِها إلا التقوى، مَنْ أَقَلَّ منها استكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، ومَنْ استكْثَرَ منها استكْثَرَ مِمَّا يُوْبِقُهُ[١٤]، ويُطِيلُ حَزَنَهُ، ويُبْكِي عَيْنَهُ،...، فاحذَرُوا ما حَذَّرَكُمُ اللهُ، وانتَفِعوا بمواعظه، واعتَصِموا بِحَبْلِهِ، عَصَمَنا اللهُ وإياكم بطاعته ورَزَقَنا وإياكم أَداءَ حَقِّه.»

- **حول الخُطْبَة والخَطِيب:**

هذا مقطع من خُطْبَة وعظيَّة طويلة تتميَّز بالحثِّ على التقوى والتزهيد في الدنيا، وتدل على اتجاه الخوارج في نظرتهم للحياة الدنيا، فقد جعلوها مجالاً واسعاً للنضال والمكابدة في سبيل عقائدهم، وتدل أيضاً على القدرة الكلامية للخطيب، وهو قَطَرِيّ بن الفُجاءة (واسمه جَعْوَنَة) الكناني المازني التميمي، من رؤساء الأزارقة وأبطالهم، كان خطيباً فارساً شاعراً، وكان عربياً مفوَّهاً وسيِّداً عزيزاً، توفي عام ٧٨ هـ، وقيل ٧٩ هـ.

وبعد قراءة هذه الخُطبَة نظنها من خُطَب **الوعظ الديني**، ولكن علينا أن ننظر إلى ما أسميناه (هَمّ الخطيب)، فهَمُّه ههنا وغايته **السياسة**، فالمبدأ السياسي للخوارج التخلي عن الدنيا ومجاهدة المخالِفين للإسلام (بني أمية) ومحاربتهم، فالخلافة عند الخوارج مُتاحة لأي مسلم دون النظر إلى نَسَبِه أو غير ذلك، أما عند الأمويين فالخلافة أصبحت وراثية للبيت الأموي، وأما الشيعة فأرادوا إعادة الخلافة لآل بيت النبي (ص) من ذرّيّة علي بن أبي طالب صهر النبي (ص).

وبالنتيجة: فالغرض من خطبة قطري بن الفجاءة **سياسي**، يدعو إلى الاعتداد والتمسك بتعاليم الإسلام وهجر الدنيا وإرادة الآخرة بجهاد المخالِفين (بني أمية وغيرهم من الأحزاب)، وإذا كان الموتُ حليفَ مجاهدي الخوارج فهو محبَّب لأنه في سبيل الله باعتقادهم. ولذلك يجب أن نميِّز غَرَضَ الخطيب هنا فليست هذه الخطبة من خطب الوعظ الديني المحض، وإنما من قَبِيْل الدعوة إلى الجهاد لأخذ الحُكْم والخلافة من بني أمية.

١- الدراسة المعنوية:

- **معاني الخطبة:**

الفكرة الرئيسة التي يبتغيها قطري من هذه الخطبة: رسم صورة قاتمة للدنيا لتنفير مستمعيه منها وتحبيبهم في الآخرة التي ينبغي أن يسعوا إليها بالجهاد، والخروج في سبيل عقيدتهم وتحقيقها على الأرض.

---

[١٠] أي صار عذبًا حلواً.

[١١] أَمَرَّ: صار مرًا، وأوبى: مسهل عن أوبأ، أي صار وبئًا، وبئت الأرض: صارت كثيرة الوباء، وهو الطاعون أو كل مرض عام.

[١٢] الغضارة: النَّعْمة والسَّعة والخِصْب، وأرهقه: حمله على ما لا يطيقه.

[١٣] القوادم: الريش في مقدم الجناح.

[١٤] يهلكه.

- **سمات المعاني:**

اتسمت المعاني بالجِدَّة، والتسلسل والترتيب، والعمق والصدق.

٢- الدراسة اللغوية:

- **لغة الخطبة:**

ألفاظها واضحة المعنى لتحقيق قَصْد الإفهام، قوية لتجسيد غاية التأثير ((**حُفَّتْ بالشهوات – غَرَّارة ضَرَّارة – خَوَّانة غَدَّارة – أَكَّالة غَوَّالة**...))، أَحْسَنَ قَطَرِيّ انتقاءها واختيارها لتعبِّر عن الجانب الوعظي عند الخوارج، وتراكيبها جزلة قوية متينة السبك مترابطة محكمة.

- **الأسلوب:**

١. غلبة الجمل القصيرة التي كانت مترسِّلة حيناً ((**فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، وراقتْ بالقليل**...))، وقائمة على السجع حيناً آخر ((**غَرَّارة ضَرَّارة، خَوَّانة غَدَّارة**)).

٢. اعتماد الخطيب أسلوب الخبر الذي يفي بالغرض لنقل أبعاد المشهد مع الإقناع والتأثير في الآخرين ((**حُفَّت بالشهوات، وراقتْ بالقليل**...))

٣. التنويع في الأفعال والأزمنة التي استخدمها في خطبته، فقد كان يتنقَّل بين الأزمنة الثلاثة بسهولة ويسر مما أضفى غنى وتنوعاً في الأسلوب ((**فإنِّي أُحَذِّركم الدنيا فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات،... فاحذروا ما حَذَّرَكُم اللهُ**...))، وكثرت في الخطبة الجمل الاسمية التي دلّت على الاستقرار والوصف والحديث عن الحال ((**فإنَّها حلوة خضرة،... غَرَّارة ضَرَّارة، خَوَّانة غَدَّارة**...)).

٤. تقليب المعاني عن طريق المقارنة والموازنة، وهنا يكمن إبداع الخطيب وذاتيته، فقد قارن ووازن بصورة غير مباشرة بين متاع الدنيا الزائل الفاني ونعيم الآخرة الباقي الخالد ((**لا خير في شيء من زادها إلّا التّقوى، من أَقَلَّ منها استكثر مما يُؤمِنُه، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويُطيل حَزَنَه ويُبكي عينه**)).

٥. اتكأ الخطيب اتكاء واضحاً على الصور البيانية في رسم صورة كاملة للدنيا، فاعتمد الاستعارات المتنوعة ((**تَزَيَّنَتْ بالغرور**...))، فضلاً عن بعض الكنايات ((**ولم تَطُلَّهُ غَيْثَةُ رخاءٍ، إلا هطلتْ عليه مُزْنَةُ بَلاءٍ**)).

٦. أكثر الخطيب من المقابلات والمطابقات ليدل على كل ما في هذه الدنيا من المفارقات العجيبة والتناقضات المحملة بمعاني السخرية والجدل والتضاد ((**ولم يَلْقَ من سَرَّائِها بطنًا، إلا منحتْه من ضَرَّائِها ظَهْرًا**))، ((**ولم تَطُلَّهُ غَيْثَةُ رخاءٍ، إلا هطلتْ عليه مُزْنَةُ بَلاءٍ**)). وقد أفاد الخطيب من القرآن الكريم في تصوير الدنيا عند أهل الرغبة فيها والرضا عنها، فاقتبس قوله تعالى: ﴿**كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾.

لقد طَوَّعَ قَطَرِيٌّ اللغةَ تطويعاً فنياً بارعاً، تمكَّن من خلاله من بثّ أفكاره الداعية إلى الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، وصَدَرَ في خطبته عن عاطفة دينية صادقة، فهو ملتزم بمبدأ الخوارج وعقيدتهم الزاهدة في الدنيا، متعلّق بالمثل العليا التي نادى بها الإسلام.

- **أهم المعاني التي اتَّكَأَ عليها خُطَباء الخَوارِج:**

١- كَشْف سياسات بني أمية الخاطئة.

٢- الطَّعْن في نَسَب بني أمية وإنْ كان من قريش.

٣- التنفير من الدنيا والتحبيب بالآخرة بغية الحض على الجهاد ضد بني أمية.

نتابع مع آخر نموذج من الخطب السياسية، وسننتقل من حزب الخَوارِج المعارِض إلى الحزب الزُّبَيْرِيّ المعارِض:

من خُطَب الأحزاب المعارِضة:

- **خُطَب الزُّبَيْرِيِّين:** (مثالها: خُطْبَة عبد الله بن الزُّبَيْر في أهل مكة عام ٧١هـ حين أتاه خبر قَتْل أخيه مُصْعَب بن الزبير بالعراق).

وسنقف بالدراسة والتحليل على خُطْبَة عبدِ اللهِ بن الزُّبَيْر.

مقدمة حول الحزب الزُّبَيري، ومناسبة خطبة عبد الله بن الزبير:

لم تكن خُطَبُ الزُّبَيْرِيِّين بالكَثْرة التي رأيناها عند الأمويين والخوارج والشيعة، وذلك بسبب قصر المدة التي عاشها حزبهم، فقد تلاشى هذا الحزب بمقتل مؤسسه عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب، كما أن هذا الحزب لم يقم على فكرة دينية في الحكم كما كان حال حزبَي الشيعة والخوارج، ولهذا لم يكتب له البقاء، ومع قلة سنوات هذا الحزب وذهابه بذهاب مؤسسه فقد أوردت لنا المصادر بعضاً من خطبه، منها خطبة عبد الله بن الزبير التي قالها بمكة بعد مقتل أخيه مصعب بالعراق، فقد ذكر أبو الفرج أنه لما أتى عبدَ الله بن الزبير قَتْلُ مُصْعَب سنة ٧١هـ أَضْرَبَ عن ذكره أياماً ثم صَعِدَ على المنبر فجلس ملياً والكآبة تملأ وجهه وجبينه، فقال شيخ من قريش: (ما له لا يتكلم أتراه يهاب المنطق فوالله إنه لَخطيب)، ثم خطب ابنُ الزُّبَير فقال:

«الحمدُ لله الذّي له الخلقُ والأمرُ، وملَكَ الدُّنيا والآخرة، يُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذلُّ مَنْ يشاء إلَّا أنه لمْ يُذِلَّ – واللهِ – مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان مُفرَداً ضعيفاً، ولم يُعِزَّ مَنْ كان الباطلُ مَعَهُ وإنْ كان في العُدَّةِ والعَدَدِ والكَثْرةِ، ألا وإنّه قد أتانا خبرٌ من العراقِ، بَلَدِ الغَدْرِ والشِّقاقِ، فَساءنَا وسَرّنَا، أَتَانَا أنَّ مُصْعباً قُتِلَ رحَمْةُ الله عَليه ومَغْفِرَتُهُ، فأمّا الذّي أحْزَنَا من ذلك فإنَّ لِفِراقِ الحميمِ لَذعةً يَجدها حَمِيمُهُ عند المصيبة، ثُمّ يَرْعَوِي[١٥] مِنْ بَعْدُ ذو الرأي والدِّينِ إلى جميلِ الصَّبر، وأمّا الذّي سَرَّنْا مِنْه فإنّا قد عَلِمَنا أنّ قَتْلَهُ شَهَادةٌ له، وأنه عَزَّ وَجَلَّ جاعِلُ ذلك لنا وله خِيرةً إن شاء الله تعالى، أسلمه الطَّغَامُ[١٦] الصُّمُّ الآذانِ، أهلُ العراقِ إسلامَ النَّعَمِ المُخَطَّمةِ[١٧] وبَاعُوه بأقلَّ مِنْ الثمنِ الذّي كانوا يأخذون منه فإنْ يُقْتَلْ فقد قُتِلَ أبوه وعَمُّهُ وأخوه[١٨]، وكانوا الخيارَ الصَّالِحِين، وإنَّا واللهِ ما نموتُ حَتْفَ أُنُوفِنا، ولكنْ قَعْصاً بالرماح[١٩]، وموتاً تحت ظِلالَ السيوف، وليس كما يموت بنو مروان. والله ما قُتِلَ منهم رَجلٌ في زحفٍ في جاهليةٍ

---

[١٥] يرعوي: يلجأ.

[١٦] الطغام: الأوباش وسَفَلة الناس.

[١٧] التي عليها الخطام، وهو ما يوضع في أنف البعير ليقاد به.

[١٨] أبوه الزبير بن العوام قتل بعد موقعة الجمل، وعمه عبد الرحمن بن العوام استشهد يوم اليرموك، وأخوه المنذر بن الزبير قتل في موقعة الحرة.

[١٩] قعصاً بالرماح: أي رمياً وطعناً.

ولا إسلامٍ قَطُّ، أَلَا وإنَّما الدُّنيا عاريَّةٌ من المَلِكِ القَهَّارِ الذّي لا يزول سُلطانُه ولا يبيد مُلْكُه، فإنْ تُقْبِل الدُّنيا عَلَيَّ لَمْ آخُذْها أَخْذَ الأَشِرِ[٢٠] البَطِر، وإنْ تُدْبِرْ عني لم أبكِ عليها بكاءَ الخَرِقِ[٢١] المَهِين. أقولُ قَولِي هَذا وأستغفرُ الله لي ولكُم».

- **حول الخطيب:**

عبد الله بن الزُّبَيْر بن العوَّام، مؤسِّس هذا الحزب، اعتَقَدَ بكَوْن الخلافة في قريش وأنه أحقُّ قريش بها، وكان خطيباً شجاعاً، قال عنه السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء): "قال عثمان بن طلحة: كان ابن الزبير لا يُنافَس في ثلاثة؛ لا شجاعةٍ ولا عبادةٍ ولا بلاغةٍ، وكان صيّتاً إذا خَطَبَ تجاوبه الجبال". توفي بمكة عام ٧٣هـ في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

١- الدراسة المعنوية:

- **معاني الخطبة وأفكارها:**

الخطبة تعبير عن محنة كبيرة عاشها ابنُ الزبير لا في أخيه مصعب فحسب بل في سلطانه ودولته، فكان مقتل أخيه في العراق إيذاناً بقرب نهايته ونهاية سلطانه في العراق. وأهم الأفكار التي تضمنتها الخطبة:

١. المقدمة والتحميد.

٢. تصوير وقع موت أخيه على نفسه، وكان ذلك مزيجاً من حزن وسرور، الحزن لأن فراق الأحبة صعب، والمرء يشعر بالأسى عند فراق من يحب، والسرور لأن أخاه نال الشهادة، فاستحق بذلك خير الجزاء عند ربه.

٣. تصوير العلّة في مقتل مصعب، فصَبَّ عبدُ الله غضبَه وسخطَه على أهل العراق، ووصفهم بالغدر والنفاق، وبأنهم صمٌّ عن الحق، أسلموا أخاه وباعوه للأمويين بثمن بخس.

٤. ارتقى حزن عبد الله إلى شيء من التمجيد لأسرته، فأشاد بأبيه الزبير، وعمه عبد الرحمن، وأخيه المنذر، وكل منهم قضى شهيداً، ثم ارتفع تمجيده إلى شيء من الزهو، فذكر بأنهم لا يموتون على فراشهم كما يموت الجبناء.

٥. التعبير عن إحساسه بقرب زوال مُلْكِهِ وسُلْطانِه.

- **سمات المعاني:**

عرض الخطيب أفكاره عرضاً منطقياً متسلسلاً، تسلم كل فكرة إلى التي تليها، وعبر عن انفعالاته بهدوء وتأنٍ فتلاقت العاطفة مع عمق الأفكار وثراء مضمونها، وإذا كان خطباء الشيعة وخطباء الخوارج قد عبّروا في خطبهم عن مبادئ أحزابهم فإنَّ ابنَ الزبير لم يعبّر في خطبته عن موقف سياسي، ولكنه ذكر موقفاً محزناً عاشه.

---

[٢٠] الأشر: المتكبر المتعالي على الناس.

[٢١] الخرق: الأحمق الضعيف.

٢- الدراسة اللغوية:

- **لغة الخطبة:**

ألفاظ الخطبة واضحة، تجمع بين الفصاحة والسهولة، باستثناء بعض الكلمات الغريبة ((**الطَّغام، مُخَطَّمة**))، وغرابتها عائدة إلى بعدنا عن زمن الخطيب. وكانت منتقاة، متخيرة بعناية، فالخطيب يأتي بألفاظ مناسبة للفكرة، وكانت التراكيب: سليمة، حسنة التأليف رائعة الأداء.

- **الأسلوب:**

١. اتبع الخطيب أسلوب الترسُّل، فآثر التحرُّر والانطلاق في التعبير، دون أن يقيِّد نفسه بالتزيين اللفظي على حساب المعنى ((**وإنَّا واللهِ ما نموتُ حَتْفَ أُنُوفِنا، ولكنْ قَعْصاً بالرِّماح، وموتاً تحت ظِلالَ السيوف**))، وكان لهذا الأسلوب أثره الواضح في استقصاء ما أراد الخطيب الحديث عنه في خطبته، وتحليله.

٢. أَكْثَرَ الخطيبُ من أسلوب الخبر، وجاء هذا الأسلوب وافياً بالغرض، ولا سيّما عندما وظفه لنقل أبعاد مشهد الفقد ((**فإنَّ لِفِراقِ الحميمِ لَذعةً يَجدها حَمِيمُهُ عند المصيبة**))، ولجأ أحياناً إلى الإنشاء عندما اقتضت الحاجة تفصيلاً وتقسيماً ((**فأمَّا الذي أحزننا من ذلك...، وأمَّا الذي سَرَّنا منه...**)).

٣. اهتمّ الخطيب بالصور البيانية بعض الاهتمام، ففي الخطبة تشبيهات، منها التشبيه البليغ: ((**وإنَّما الدُّنيا عاريَّةٌ من المَلِكِ القَهَّارِ**))، ومنها التشبيه الإضافي: ((**لم أبكِ عليها بكاءَ الخَرِقِ المَهِين**))، ومنها التشبيه التمثيلي: ((**أسلمه الطَّغَامُ الصُّمُّ الآذانِ، أهلُ العراقِ إسلامَ النَّعَم المُخَطَّمةِ**))، وفيها أيضاً كنايات ((**ما نموتُ حَتْفَ أُنُوفِنا**)).

٤. استعان الخطيب بألوان البديع، ففي الخطبة أمثلة من الطباق والمقابلات، وفي الخطبة تضمين من القرآن الكريم، فقوله: ((**يُعِزُّ مَنْ يشاء ويُذلُّ مَنْ يشاء إلَّا أنه لمْ يُذِلَّ – واللهِ – مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان مُفْرَداً ضعيفاً، ولم يُعِزَّ مَنْ كان الباطلُ مَعَهُ وإنْ كان في العُدَّةِ والعَدَدِ والكَثْرةِ**)) يُلْمَحُ فيه قولُ اللهِ تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٢٢]. ومن فنون البديع في الخطبة: الطيّ والنشر، وهو قوله على سبيل الإجمال: ((...**فساءنا وسرَّنا**))، ثم راح يوضح ويفصِّل قائلاً: ((**فأمَّا الذي أحزننا من ذلك... وأمَّا الذي سرَّنا منه...**)).

استطاع الخطيب أن يشرح خفايا الموضوع، من خلال لغة عذبة مستساغة، أحاط بها إيقاع موسيقي جذّاب، طاول به الجَمال الفني بأقصى أبعاده.

[٢٢] البقرة: ٢: ٢٤٩

- **الخصائص الفنية للخطابة السياسية في العصر الأموي (وتشمل هذه الخصائص خُطَب الأحزاب السياسية الأربعة: الحزب الأموي الحاكِم، وحزب الشيعة المُعارِض، وحزب الخَوارِج المُعارِض، والحزب الزُّبَيْرِيّ المُعارِض):**

١. الطابع البدوي:

ظلت الخطابة في العصر الأموي بوجه عام تحمل في أسلوبها طابعاً أدنى إلى البداوة، سواء في ألفاظها أو في تراكيبها أو في الأبيات التي كان الخطباء يتمثلون بها، ويبدو أن تأثر الخطابة الأموية بهذا الطابع مردّه إلى أن البيئة البدوية كانت تعتبر في هذا العصر موطن الفصاحة الأصلية والبيان العربي الناصع السليم من شوائب اللحن واللكنة، وكان البلغاء لهذا السبب يقصدون البادية ليقوّموا ألسنتهم بمشافهة أهلها، ولما كانت الخطابة فناً قولياً يرتكز على فصاحة اللسان كان المثل الأعلى لهذه الفصاحة يتمثل في فصاحة الأعراب وأهل البادية، ومن هنا كان الخطباء الحضريون يحاولون محاكاة خطباء البادية في أسلوبهم، وثمة دافع آخر إلى هذه المحاكاة وهو إظهار الخطيب نفسه بمظهر الرجل الجافي القوي الشديد البطش؛ لأن الطابع البدوي يوحي بهذه القوة.

٢. التنسيق:

والمراد به حسن اختيار الألفاظ والتعابير الشّافّة ذات الدلالة الواضحة والمؤديّة للمعنى المراد التعبير عنه بلا لبس ولا غموض، مع العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعاني، ولكي تتحقق الغاية من الخطبة وهي الإقناع العقلي والاستمالة العاطفية، والخطباء السياسيون في العصر الأموي كانوا شديدي الحرص على هذه الخصلة، فقَلَّما نجد في خطبهم التواءً في التعبير أو اضطراباً في الترتيب أو تعقيداً لفظياً أو معنوياً.

٣. الإيجاز:

غلبت سمة الإيجاز على الخطابة الأموية ولاسيما السياسية منها، فكان الخطيب المجيد يكتفي في التعبير عن فكرته بالعبارة القصيرة الوجيزة الموجزة، يبلغ بها من نفس سامعيه ما يريد، فتأتي لذلك خطبته رشيقة، سريعة الحركة، نابضة بالحياة، ومن مظاهر الإيجاز في التعبير (طَرْح الفضول) والاستغناء عن كل ما يمكن فهمه من سياق الكلام، وعدم الخوض في تفاصيل الأمور والاجتزاء بالإشارة العابرة واللمحة السريعة وتجنُّب الترداد والحشو وإطالة الجمل.

٤. الأسلوب العاطفي:

من مميزات الأسلوب الخطابي أنه يهدف إلى إثارة مشاعر المستمعين والتلاعب بعواطفهم ومخاطبة العواطف التي تحتاج إلى أسلوب خاص يُعرَف بالأسلوب العاطفي، ومن ركائز هذا الأسلوب: الاتكاء على الأسلوب الإنشائي باستخدام صيغ النداء والتعجب والاستفهام والتمني والخطاب، مع ما تؤديه هذه الصيغ من معانٍ إضافية كالتوبيخ والتقريع والتهديد والدعاء والتيئيس والتهكُّم والتحقير ونحو ذلك. والبراعة في استخدام الألفاظ قوية الإيحاء أو التي تؤثر في النفس بجرسها ورنينها. واللجوء إلى الصور المثيرة للخيال قصد التهديد أو الإغراء أو التنفير أو غير ذلك. واللجوء إلى أسلوب التوكيد عن طريق استخدام أدوات التوكيد البلاغية والقَسَم والتكرار.

٥. التمثُّل بالشعر:

جرى خطباء العرب منذ العصر الجاهلي على التمثُّل بالشعر في خطبهم، وكان الخطيب يختار بيتاً أو أبياتاً يوردها في خطبته دعماً لفكرة أتى بها، أو تصويراً لحال من الأحوال.

٦. السَّجْع والتوازن:

نجد السجْع قليلاً في الخطب السياسية الأموية، والأسباب التي حملت الخطباء في هذا العصر على تجنُّب السجْع هي الأسباب ذاتها التي دعت خطباء العصر الإسلامي إلى تجنبه، وهي أن النبي ﷺ قد نهى عن سجْع الكهان لأنهم كانوا يدَّعون الغيب، ولم يكن الخطباء يطلبونه لذاته وإنما كان اللفظ عندهم خادماً للمعنى، وما جاء منه فقد جاء عفوياً غير متكلف. وربما وقع التوازن في خطب الأمويين السياسية ولكنه كالسجع لم يكن ملتزماً ولا مطلوباً لذاته، والأسلوب المرسَل القصير الفقرات هو الغالب على الخطابة الأموية عامة.

٧. الأثر الإسلامي:

برز هذا الطابع قوياً واضحاً في الخطابة الأموية، وكان من أوَّل مظاهره اتسام هذه الخطابة بالروح الإسلامية التي تتجلَّى في جميع ضروبها وألوانها، إذ كانت الخطب السياسية في هذا العصر مزدحمة بالأفكار الإسلامية والمعاني القرآنية، ومن هذه المظاهر: استهلال الخطب بحمد الله وتمجيده: فإنْ خَلَتْ من ذلك سميت بَتْراء، وتوشيحها بآياتٍ قرآنية (اقتباساً أو تضميناً)، وتزيينها بالصلاة على النبي وإلا كانت شَوْهاء.

٨. الأسلوب التصويري:

من المؤَكَّد أنَّ الصورة الخيالية تفعل في النفس ما لا يفعله أداء الفكرة أداءً حقيقياً مباشراً، وهذه الحقيقة الفنية أدركها الخطباء الممتازون ففسحوا للتعبير الخيالي مكاناً رَحْباً في خطبهم واستعانوا بالصور في أداء معانيهم، وأَبْرَعُ خُطَباءِ السياسةِ في عصر بني أمية اصطناعاً للأسلوب التصويري (الحَجَّاجُ بن يوسف الثقفي) وهو يتعمَّد الإتيان بالصورِ المخيفةِ إرهاباً لمعارِضِيه.

انتهت المحاضرة الخامسة